الكاتب خليل عبد الكريم وكتابه "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين" دراسة نقدية

إبراهيم بركات صالح عواد *

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى نقد المادة العلمية التي تضمنها كتاب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين" وقد خَلُصَتْ الدراسة إلى أن المؤلف قسَّم مصادر العلم النبوي إلى قسمين: المصادر الخارجية؛ وقد تمثلت بـ ورقة بن نوفل، وخديجة بنت خويلد – رضي الله عنها– والمصادر الداخلية، التي تمثلت بأميته – صلى الله عليه وسلم – ووحيه النفسي، وعبقريته، وخياله وطموحه، وحُلُمِه الذي رآه في غار حراء، فيكون الكاتب بذلك قد نفى الصبغة الإلهية عن الوحي إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومن ثم نفي الرسالة.

الكلمات الدالـة: خليل عبد الكريم، الوحي، فترة التكوين.

المقدمة

اقتضت الحكمة الإلهية أن يصطفي من عباده الكرام رسلاً لتحقيق غرض أساسي واحد هو عبادته عز وجل، قال تعالى (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [سورة الحج، الآيه: 75].

وقال تعالى:(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيْ كُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوْتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيْرُوْا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَ) [سورة النحل، الآية 36] وقد أنزل الله تعالى وحيه على هؤلاء المصطفين الأخيار– عليهم السلام–، فخاطبوا الناس به، ولم يكن خاتمهم – صلى الله عليه وسلم – بدعاً في هذا الأمر، بل سبقه إلى ذلك من تقدمه من الرسل والأنبياء –عليهم السلام–، قال تعالى:(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوْحٍ وَالنَّبِيِّيْنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيْسَى وَأَيُّوْبَ وَيُوْنُسَ وَهَارُوْنَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوْرًا) [سورة النساء، الآية: 163]. إذاً فمصدر الوحي وما تضمنه من علوم ومعارف إلى جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام، هو الله تعالى، إلا أن الوحي الإلهي يتعرض الآن لهجمة شرسة كما تعرض لها في كل العصور الماضية، ومن المؤسف المحزن أن يكون قادتها فئة من أبناء جلدتنا ممن انحرفوا عن الطريق القويم، وتشربوا أفكار المستشرقين، وكان من هؤلاء الكاتب خليل عبد الكريم الذي صنف كتاباً سماه "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين" نفى خلاله الصبغة الإلهية عن الوحي النبوي، وما تضمنه من علوم ومعارف، واستبدلها بصبغة بشرية، لذلك جاء البحث لنقد المادة العلمية التي احتواها كتابه هذا.

مشكلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

– ما المبررات التي استند إليها الكاتب في نفي الصبغة الإلهية عن الوحي إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومن ثم نفي النبوة والرسالة عنه –صلى الله عليه وسلم–، وما صحة هذه المبررات؟

– ما موقف مدرسة الحداثة العربية التي ينتمي إليها الكاتب من نبوة النبي –صلى الله عليه وسلم–، من خلال كتابه هذا؟

– ما أثر الاستشراق الغربي في موقف مدرسة الحداثة العربية من النبوة المحمدية من خلال الكتاب؟

* كلية الشريعة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2013/4/17، وتاريخ قبوله 2013/11/13.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج العلمي القائم على الاستقراء، والتحليل، والاستنتاج، حيث قام الباحث بما يلي:

– دراسة كتاب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين" دراسة استقرائية متأنية، لجمع شتات ما تناثر من كلام الكاتب في ما يتعلق بمسائل النبوة والوحي، وتوزيعه ضمن مطالب البحث.

– إنعام النظر في كلام الكاتب وتحليله ونقضه من خلال أسلوبه.

– استنتاج ملامح مدرسة الحداثة العربية من الرسالة الإلهية لمحمد –صلى الله عليه وسلم–، من خلال الكاتب.

– عزو الآيات الكريمة إلى مواضعها من السور، وتخريج الأحاديث النبوية تخريجا علميا مع الحكم عليها صحة أو ضعفا.

الدراسة السابقة:

لا توجد درسات سابقة قامت بنقد مادة الكتاب نقداً علمياً، وإنما هناك دراسة للدكتور سيّد بن حسين العفاني بعنوان "سلسلة شراب النسيم مع النبي الكريم"، فقد تطرق في صفحات قليلة لوصف بعض آراء وأخطاء الكاتب دون نقد لها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الآتي:

1– الكتاب أخطر كتب المؤلف على الإطلاق، وإن كانت جميعها خطرة.

2– عدم وجود الدراسات العلمية المتخصصة حول الكتاب مع خطورته.

3– موضوع الكتاب يتعلق بالوحي الإلهي ويمس مكانته.

4– بيان مدى تأثر مدرسة الحداثة في العالم العربي بأفكار المستشرقين حول الوحي الإلهي ممثلة بالكاتب.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة تضمنت أهم النتائج.

المبحث الأول: التعريف بالكاتب، وكتابه "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين".

المطلب الأول: التعريف بالكاتب خليل عبد الكريم.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين".

أولاً: ملخص الكتاب.

ثانياً: خطورة الكتاب.

المبحث الثاني: المصادر الخارجية للعلم النبوي:

المطلب الأول: ورقة بن نوفل، ودلائل ذلك.

المطلب الثاني: خديجة بنت خويلد– رضي الله عنها– ودلائل ذلك.

المبحث الثالث: المصادر الداخلية للعلم النبوي.

المطلب الأول: أميته –صلى الله عليه وسلم – .

المطلب الثاني: وحيه النفسي– صلى الله عليه وسلم – .

المطلب الثالث: عبقريته– صلى الله عليه وسلم – .

المطلب الرابع: خياله وطموحه– صلى الله عليه وسلم – .

المطلب الخامس: حُلمِه– صلى الله عليه وسلم– الذي رآه في غار حراء.

المبحث الأول: التعريف بالكاتب، وكتابه "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين"

المطلب الأول: التعريف بالكاتب خليل عبد الكريم.

خليل عبد الكريم عبد الناصر، كاتب مصري يساريٌ علماني، وواحد من كُتّاب مدرسة الحداثة[1] في العالم العربي، ومن أعمدتها نصر حامد أبو زيد[2]، وحسن حنفي[3]، وقد ولد الكاتب خليل عبد الكريم عام 1930 في مدينة أسوان بمصر، ودرس الشريعة الإسلامية مطلع الخمسينيات في الأزهر، وتتلمذ على يدي الحقوقي عبد القادر عودة –رحمه الله– وقد انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، ثم تنقل بين المدن والقرى المصرية للدعوة إلى جماعته، وتعرض للاعتقال أثناء حكم الرئيس جمال عبد الناصر، وبعد تولي الرئيس محمد أنور السادات الحكم بدأت فكرة عودة الأحزاب فوجد الكاتب خليل عبد الكريم أن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي[4] هو الأقرب إليه، فانضم إلى صفوفه، لأنه يهتم بالعمال والفلاحين والطبقة المسحوقة؛ فأصبح أحد قياداته وأحد مسؤولي الاتجاه الديني فيه، صدر له العديد من المؤلفات التي أثارت ضجة داخل مصر لما فيها من تضليل وهجوم على الإسلام ورموزه، فَصُودِرت، ومَثُل أكثر من مرة أمام نيابة أمن الدولة، ومن هذه المؤلفات: الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، وشدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، حيث قسَّمه إلى ثلاثة أقسام: (محمد والصحابة، والصحابة والصحابة، والصحابة والمجتمع)، وله أيضاً: دولة يثرب بصائر في عام الوفود، والأسس الفكرية لليسار الإسلامي، والعرب والمرأة، ، ومفاهيم خاطئة ألصقوها بالإسلام، ونحو فكر ديني جديد، والنص المؤسس ومجتمعه، وفترة التكوين في حياة الصادق الأمين، – وهو موضع الدراسة– ثم توفي عام اثنين والفين ميلادية عن عمر يناهز الثانية والسبعين[5].

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين".

أولاً : ملخص الكتاب

تناول المؤلف في كتابه الفترة التي تمت فيها عملية إعداد محمد –صلى الله عليه وسلم– وتهيئته للنبوة على حد زعم الكاتب، وقد قسّم الكاتب الفاعلين المؤثرين في مرحلة الإعداد إلى حلقتين، هما: الحلقة الخارجية، والحلقة الداخلية، أما الخارجية ؛ فتمثلت بدور كل من ورقة بن نوفل، وخديجة بنت خويلد – رضي الله عنها– زوج النبي –صلى الله عليه وسلم–. فأما الحلقة الداخلية؛ فتمثلت بالعوامل والصفات الداخلية التي تمتع بها النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ فهيأته للنبوة، كأميته، ووحيه النفسي (الإشراق الروحي)، وخياله وطموحه، وحُلمِه الذي رآه في غار حراء، وبذلك نجحت عملية التهيئة والإعداد، فأعلن محمد –صلى الله عليه وسلم– نفسه نبياً يُوحى إليه من عند الله، وهذا ما يُشير إليه عنوان الكتاب، ويتطابق مع مضمونه.

ثانياً: خطورة الكتاب.

من خلال ما تقدم من الملخص الآنف الذكر لكتاب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين"، يتبين للباحث أن خطورة الكتاب تتمثل في نفي الصبغة الإلهية عن الوحي إلى النبي – صلى الله عليه وسلم–، وإثبات الطابع البشري عليه من خلال العوامل الخارجية والداخلية التي أهّلت محمداً– صلى الله عليه وسلم– للنبوة على حد زعم الكاتب، ومما تجدر الإشارة إليه أن الكاتب لم يُظهر أي تقسيم لمصادر العلم النبوي، وإنما استنتج الباحث ذلك من ثنايا كلامه.

المبحث الثاني: المصادر الخارجية للعلم النبوي.

المطلب الأول: ورقة بن نوفل.

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قصي القرشي، ابن عم خديجة بنت خويلد[6] –رضي الله عنها–، تنصّر في الجاهلية، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، ولشدة تمكنه من علم أهل الكتاب تعلم اللسان العبراني، والكتابة العبرانية، فكان يكتب الكتاب العبراني كما كان يكتب الكتاب العربي لتمكنه من الكتابين واللسانين، أخبر خديجة– رضي الله عنها– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– نبي هذه الأمة، وهدّأ من روعه – صلى الله عليه وسلم– لمّا أخبرته خديجة –رضي الله عنها– بما رآه –صلى الله عليه وسلم– في غار حراء[7]، وتمنّى أن يكون على قيد الحياة، ويعود شاباً وقت الدعوة لينصرها، ثم توفي بعد ذلك بفترة قصيرة[8]، ودفن بالحَجُون[9].

يرى الكاتب أن ورقة بن نوفل هو المصدر الأول في الحلقة الخارجية في تجربة تهيئة النبي – صلى الله عليه وسلم – للنبوة، ومن أجل ذلك توسع ببيانه، لاثبات عمقه، ومحوريته، وبدئه مبكراً في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– وقد دلل على ذلك بالآتي:

أولاً: انتشار النصرانية في قبيلة بني أسد بن عبد العُزّى رهط ورقة بن نوفل.

سعى الكاتب لإثبات انتشار النصرانية في قبيلة بني أسد مستدلاً على ذلك بقول اليعقوبي: "وأما من تنصر من أحياء العرب قوم من قريش من بني أسد بن عبد العزَّى منهم عثمان بن الحويرث، وورقة ابن نوفل"[10]. وفي موضع آخر قال الكاتب[11]: "ومما يرجح حقيقة انتشار النصرانية في رهط بني أسد اعتناق عدد من الأسديين للنصرانية وتبحرهم وتضلعهم فيها، حتى حازوا فيها ألقاباً نصرانية عالية لا يحصل عليها إلا من بلغ فيها درجة من التعمق رفيعة المقام منهم ورقة بن نوفل[12]، وعثمان بن الحويرث[13]، وقتيلة بنت نوفل[14] التي كانت تنظر في الكتاب".

قلت: إن ما ذكره اليعقوبي يدل على أن انتشار النصرانية كان على نطاق محدود في بني أسد ومحصوراً في نفر منهم، لأن المصادر أضافت رابعاً للذين ذكرهم الكاتب آنفاً، ولو استطاع ذكر غيرهم لذكر ذلك، ليثبت دعواه، ثم إن تبحُّر وتضلُّع بعض الأسديين وحصولهم على القابٍ عالية فيها لا يعني بحال من الأحوال انتشارها بين جميع أفراد القبيلة، بل في قريش بأسرها يؤكد ذلك كله قول ابن حزم: "وكان قد تنصّر من قريش نفر يسير، وهم: شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، وعثمان بن الحويرث، وورقة، ولا عقب لهما" [15]. فمن أين للكاتب أن النصرانية انتشرت في بني أسد؟! فضلاً عن قريش؟!.

ثانياً: حرص ورقة بن نوفل على البحث عن النبي – صلى الله عليه وسلم –عندما أضلته مرضعته حليمة السعدية بأعلى مكة.

استدل على ذلك بما أخرجه البلاذري[16]:" أن حليمة ظئر [17] رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما قدمت من بلادها، أضلّته – يعني محمداً – صلى الله عليه وسلم – بأعلى مكة، فوجده ورقة بن نوفل، ورجل آخر من قريش، فأتيا به عبد المطلب، وقالا: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة، فسألناه من هو؟ فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فأتيناك به".

قال الكاتب معلقاً[18]: "إن مما لا مشاحة فيه أن هذه الرواية وخاصة في شطرها الخاص بحرص اليعسوب[19] – أي ورقة – البحث عن محمد –صلى الله عليه وسلم – انضوت

على إيحاء مكثف بالعمل الذي سوف يقوم به في الوقت المناسب". وقال أيضاً: "وهذا أشبه بالشيفرة، أو الرمز والأمارة، أو الإشارة للدور الخطير الذي سيقوم به اليعسوب – أي ورقة- في التجربة المبرورة- يعني تجربة إعداد محمد – صلى الله عليه وسلم- للنبوة" [20].

قلت: أخرج الرواية البلاذري، من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن جده، عن أبي صالح (باذام مولى أم هاني)، أو عكرمة.

فالرواية في سندها كل من :1- هشام بن محمد بن السائب الكلبي، قال ابن معين: "غير ثقة، وليس عن مثله يُروى الحديث" [21]. وقال الدارقطني: "متروك"[22]. وقال ابن حجر: "لا يوثق به" [23].

2-محمد بن السائب الكلبي، قال ابن معين: "ليس بشيء"[24]. وقال مسلم بن الحجاج: "متروك الحديث" [25]. وقال أبو حاتم: "الناس مجمعون على ترك حديثه لا يُشتغل به، وهو ذاهب الحديث"[26]. وقال ابن حجر: "مهتم بالكذب رُمي بالرفض" [27].

3-أبو صالح (باذام مولى أم هانئ)، قال ابن معين: "إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء" [28]. وقال النسائي: "ضعيف"[29]. وقال ابن عدي: "لم أعلم أحداً من المتقدمين رضيه" [30]. قال ابن حجر: "ضعيف مدلس"[31]. إذاً فالرواية سندها ضعيف لا يُعول عليها، لكن الكاتب قصد بما علقه عليها: ليثبت أن حرص ورقة على البحث عن النبي- صلى الله عليه وسلم-، دليل على معرفة ورقة بالنبي –صلى الله عليه وسلم- منذ صغره، وأنه كان على علاقة به، ليثبت تعلم النبي –صلى الله عليه وسلم – على يدي ورقة بن نوفل، ويدحض هذا أن الرواية مع ضعفها لم تتضمن حرص ورقة على البحث عن النبي- صلى الله عليه وسلم-، وسؤالهما له عن اسمه عندما عثرا عليه- كما جاء في الرواية- دليل على عدم معرفتهم به.

ثالثاً: تحمس ورقة بن نوفل ومباركته لزواج خديجة – رضي الله عنها – من النبي –صلى الله عليه وسلم-.

قال الكاتب[32]:"فإننا نستطيع أن نقول إن ظهور ورقة في مسيرة التجربة – أي إعداد النبي –صلى الله عليه وسلم- للنبوة بدأ مبكراً، فما إن عزمت خديجة- رضي الله عنها- على الزواج بمحمد –صلى الله عليه وسلم- حتى بارك هذا الاختيار وتحمس له، إذ تنقل لنا بعض كتب السيرة[33] المحمدية ذات الوزن الثقيل والمقام المحمود أن ورقة كان حريصاً على حضور مجلس العقد، وما أن انتهى أبو طالب من إلقاء خطبته حتى انبرى ورقة وتكلم مبدياً الموافقة بالرغم من وجود عمها عمرو بن أسد الذي كان يُعتبر وليها في عقد النكاح الأمر الذي لفت انتباه أبي طالب، وأفصح عن ضرورة سماع رأي العم والولي".

قلت: يلاحظ على كلام الكاتب ما يلي:

1- الرواية التي ذكرها الكاتب، وعلق عليها بالكلام الآنف الذكر ليس فيها أدنى إشارة تدل على تحمُّس ورقة للزواج ولا الحرص على حضور مجلس عقده، إنما تذكر فقط خطبة ورقة التي ألقاها، فقال فيها: "... الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت- أي أبو طالب- وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله لا يُنكر أحد فضلكم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بأسرتكم وشرفكم، فاشهدوا عليَّ يا كبار قريش أني قد زوجت خديجة من محمد –صلى الله عليه وسلم – بمهر كذا..." [34]. فمن أين أتى الكاتب بتحمُّس ورقة وحرصه على حضور مجلس عقد الزواج؟!.إنه التزوير بعينه لما جاء في الروايات، لتحقيق الأهداف.

2- تناقض الكاتب فيمن تولى زواج خديجة –رضي الله عنها- من النبي –صلى الله عليه وسلم –حيث نقض الكاتب تولي ورقة زواج خديجة من النبي- صلى الله عليه وسلم-؛ فقال: "إن خويلداً والد خديجة- رضي الله عنها- هو وليها في زواجها من النبي- صلى الله عليه وسلم-"[35].

رابعاً: الجلسات الطويلة التي كان يعقدها ورقة لتعليم النبي – صلى الله عليه وسلم – شكلت جزءاً مهماً من عملية إعداده –صلى الله عليه وسلم- للنبوة، وقد كان يُنجز فيها الآتي[36]:

1- قراءة الإصحاحات التي نسخها ورقة من لغتها الأصلية (العبرية) إلى اللسان العربي، ثم تفسيرها، وإيضاح ما غمض منها. 2-ترجمة وشرح ما لم يتم تعريبه مباشرة. 3-مدارسة القواعد الأساسية في العقائد كالتي تتعلق بالألوهية، والخلق، والتكوين، والكائنات غير المنظورة مثل الملائكة والجن. 4- التحدث في شأن النبوة والأنبياء، والوحي ووسائطه.5- العقاب والثواب والجنة والنار والبعث والنشور، والصراط والميزان. 6- المقارنة بين كافة الملل والنِّحل والديانات التي ماجت آنذاك بها مكة، واستعراض عقائدها وشعائرها.

قلت: قبل تفنيد هذا الدليل لا بد من معرفة أن الكاتب أخذ هذا الكلام من المستشرقين، قال درمنغام [37]: "إن الرسول – صلى الله عليه وسلم –تلقى عن ورقة بن نوفل" [38]. وقال موير [39]: "إن محمداً قد استقى معلوماته من ورقة بن نوفل " [40]. وأما عن دحض هذا الكلام، فنجيب بالآتي:

أ-أين كانت تعقد الجلسات الطويلة بين ورقة ومحمد-

صلى الله عليه وسلم-؟ وكيف خفيت على أهل مكة مع صغرها؟ مع أن الثابت أن ورقة لم يكن داعية للنصرانية، ولا مدرساً لتعاليمها، قال محمد رشيد رضا: "لقد جُمِع كل ما عُرِف عن ورقة مما له سند صحيح، وما ليس له سند صحيح، فلم نعثر في رواياتهم على ما يُشير إلى أن ورقة كان داعية إلى النصرانية" [41].

ب-لو كان ورقة معلماً للنبي – صلى الله عليه وسلم- لتوجه -صلى الله عليه وسلم- مباشرة لمعلمه بعد نزول الوحي في غار حراء، ولا حاجة للذهاب إلى بيته، ومن ثم تأخذه خديجة -رضي الله عنها- إلى ورقة.

ج-لم يستطع الكاتب أن يأتي بأي رواية تثبت أن النبي – صلى الله عليه وسلم- التقى بورقة قبل حادثة نزول الوحي، ولو أستطاع لأتى بها، واتخذ منها دليلاً على ما أراد لكن الثابت أن أول لقاء جمع بينهما كان بعد حادثة نزول الوحي كان للاستيثاق مما حدث، كما جاء في رواية البخاري [42]: "...فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ..." وكان لقاءً قصيراً يستحيل معه أن يتعلم النبي – صلى الله عليه وسلم- كل ما جاء به من وحي، وقد نص الكاتب على ذلك خلال رده على المشركين الذين قالوا: إن محمداً تعلم على يد قيِّن [43] بمكة اسمه بلعام وقيل: يسار، وقيل: جبر، فقال: "المدة التي كان يمكثها محمد – صلى الله عليه وسلم- مع بلعام، أو يسار، أو جبر حتى ولو كان هؤلاء يجيدون الحديث باللغة العربية لا تتيح لهم أن يمدوه بهذا الفيض الزاخر من المعارف"[44]. قلت: وما ينطبق على هذا القيِّن في قِصَر مدة لقائه بالنبي- صلى الله عليه وسلم- علماً بأن القرآن رد ذلك في قوله تعالى:(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) [سورة النحل، الآية: 103] ينطبق أيضاً على قصر اللقاء الأول بورقة بعد نزول الوحي كما جاء عند البخاري[45].

د- لو كان تعلُّم النبي- صلى الله عليه وسلم- من ورقة صحيحاً لاستخدمته قريش للطعن عليه – صلى الله عليه وسلم- خاصة وأنها زعمت أنه تعلم على يدي قيِّن كان يعمل بمكة، حيث ذكر القرآن الكريم مقالتهم هذه في الآية الآنفة الذكر.

هـ- من يُنعم النظر في حال ورقة وكلامه من خلال حديث الوحي سيتبين له ربانية ما نزل على محمد -صلى الله عليه وسلم – في غار حراء، ويدحض زعم تعلُّم محمد -صلى الله عليه وسلم- من ورقة، يظهر ذلك من خلال الآتي:

1- أي علم سيتعلمه- صلى الله عليه وسلم- من شيخٍ بلغ من الكبر عتياً قد أصيب بالعمى؟!

2- قول ورقة: "يا ابن أخي ماذا ترى" سؤال استفهامي[46] يدل على عدم معرفة ورقة بما حدث مع النبي- صلى الله عليه وسلم- فلو كان معلماً له لما كان بحاجةٍ إلى هذا السؤال الاستفهامي؟.

3- قوله: "هذا الناموس[47] الذي نزل على موسى" بيان أن ما رآه هو الوحي جبريل -عليه السلام -الذي نزل على موسى- عليه السلام- لذلك جعل الإمام البخاري حديث الوحي بلا ترجمة[48]، لأنه ذو صلة بالموضوع السابق الذي ترجم له بقوله: "كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقول الله عز وجل (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) [سورة النساء، الآية: 163].

4- قوله: "يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك... لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً".

قال الحافظ معلقاً: "تمنى أن يكون عند ظهور الدعوة إلى الإسلام شاباً ليكون أمكن لنصرته، وبهذا يتبين سر وصفه لكونه كان كبيراً أعمى... ويظهر لي أن التمني ليس مقصوداً على بابه، بل المراد التنبيه على صحة ما أخبره به، والتنبيه بقوة تصديقه في ما يجيء به، ومعاداة قومه له كما عاند السابقون أنبياءهم دليل على أن ما جاءه هو الوحي الذي نزل على من سبقه [49].

5- قول الراوي: "ثم لم ينشب ورقة أن توفي"، وهذا دليل على سرعة وفاة ورقة بعد اللقاء الأول مع النبي – صلى الله عليه وسلم – [50]، فمن أين لمحمد بعد وفاة ورقة تلك العلوم والمعارف التي تلاها!؟

و- هل يعقل من ورقة أن يهيئ محمداً -صلى الله عليه وسلم- لمقام النبوة العظيم، وأن يتنازل عنه لغيره؟! ما هذا الإيثار في مثل هذا المقام!؟

خامساً: اقتران فتور الوحي بموت ورقة بن نوفل.

من دلائل الكاتب على تعليم ورقة للنبي -صلى الله عليه وسلم- اقتران تأخير نزول الوحي بموت ورقة، بناءً على ما جاء في حديث[51] نزول الوحي: "ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي" قال الكاتب[52]: "وظل ورقة يؤدي دوره في التجربة، أي تجربة إعداد النبي صلى الله عليه وسلم للنبوة حتى حزن عليه حزناً بليغاً، وأسىً عميقاً وأسَفاً شديداً حتى إنه همّ مراراً أن يتردى من رؤوس شواهق الجبال، وهو أمر بالغ الدلالة شف المعنى"[53]. وقال أيضاً[54]: "والسؤال الذي يرد على الذهن مباشرة: لِمَ حزن محمد -صلى الله عليه وسلم –

حزناً شديداً على موت ورقة، حتى إنه غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال؟... لعل الإجابة عن هذا السؤال تتلخص أن ذلك يدل على المكانة الرفيعة التي احتلها ورقة في عقل وقلب محمد؛ إذ إن من صفاته العظيمة شدة الوفاء لمن عرفهم فكيف بورقة صاحب الدور العظيم في حياته".

قلت: إن فترة انقطاع الوحي[55] عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيها ما ينقض تعلمه –صلى الله عليه وسلم– من ورقة ؛لأن في انقطاعه فترة، واستمراره بعد ذلك تأكيد انفصال ظاهرة الوحي عن ذاته– صلى الله عليه وسلم –، وظاهرة منفصلة عن تعلمه على يد ورقة أو غيره، وإلا فلماذا تتابع الوحي، ولم ينقطع مع وفاة ورقة كما يذكر الكاتب؟! ومن حكم فترة انقطاع الوحي أيضاً اذهاب الروع عنه – صلى الله عليه وسلم –، وحصول التشوق إلى العود[56]، وقد وقع ذلك في ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري– رضي الله عنه– قال وهو يحدث أي بحديث النبي– صلى الله عليه وسلم – عن فترة الوحي: "بينما أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرُعِبتُ منه، فرجعت فقلت: زملوني[57]، فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) [المدثر، الآية: 1– 5]. فحمي الوحي وتتابع"[58].

وأما ما يتعلق بزيادة محاولة تردي النبي– صلى الله عليه وسلم –من شواهق الجبال، فقد أخرجها بلاغاً كل من: البخاري[59]، وأحمد بن حنبل[60]، والبيهقي[61]، من طريقه – أي أحمد بن حنبل– وأخرجها أبو نعيم[62]، كلهم من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة– رضي الله عنها...فساق الحديث إلى قوله: "وفتر الوحي"، ثم قال الزهري حتى حزن النبي –صلى الله عليه وسلم– في ما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذورة[63] جبل لكي يُلقى منه نفسه تبدَّى[64] له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً... وأخرج مسلم[65] الحديث عن طريق عبد الرزاق، عن معمر به دون أن يسوق لفظه، وإنما أحال به على لفظ رواية يونس[66]، عن ابن شهاب دون ذكر الزيادة، وأخرج أحمد[67]، والبخاري[68]، ومسلم[69] حديث نزول الوحي دون ذكر زيادة محاولة التردي من شواهق الجبال من طريق عُقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة – رضي الله عنها....

قلت: ضعَّف الحافظ ابن حجر[70] هذه الزيادة، فقال: "هو من بلاغات[71] الزهري، وليس موصولاً"، وقد نص العلماء على ضعف مراسيل الزهري، قال يحيى بن سعيد القطان[72]: "مرسل الزهري شر من مرسل غيره، لأنه حافظ، وكل ما يقدر أن يُسمي سمّى، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه". وقال الشافعي[73]: "إرسال الزهري عندنا ليس بشيء"، وقال يحيى بن معين[74]:"مراسيل الزهري ليس بشيء".

سادساً: حزن النبي– صلى الله عليه وسلم– على ورقة، وبيان مكانته في الآخرة.

استدل الكاتب بذلك على تعلم النبي – صلى الله عليه وسلم– على يدي ورقة، فقال: "والسؤال الذي يرد مباشرة: لماذا حزن محمد –صلى الله عليه وسلم– على موت ورقة...؟ لعل الإجابة تتلخص أن ذلك يدل على المكانة الرفيعة لورقة في عقل محمد– صلى الله عليه وسلم–، لأن من صفاته شدة الوفاء لمن عرفهم فكيف بورقة صاحب الدور العظيم في حياته، وقد عبر عن ذلك بدخول الجنة" [75].

واستدل على ذلك بما رواه الترمذي، عن عائشة – رضي الله عنها– قالت: "سئل رسول الله عن ورقة، فقالت له خديجة: إنه كان صدّقك، ولكنه مات قبل أن تظهر، فقال– صلى الله عليه وسلم–: أريته في المنام وعليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك"[76].

وقد أشار المستشرق (مونتكمري واط) [77] إلى هذا الدليل فقال: "... ولا شك أن المقطع القرآني – حين ردده محمد – صلى الله عليه وسلم– يجب أن يكون قد ذكره بما هو مدين به لورقة"[78].

قلت: لم يأت الكاتب بأي دليل تضمن حزن النبي – صلى الله عليه وسلم – على وفاة ورقة، ولا أدري من أين أتى الكاتب بهذا؟! وعلى فرض تضمن إحدى الروايات لذلك مع الاستحالة ألا يحق للنبي –صلى الله عليه وسلم – أن يحزن على وفاة من طمأنه بعد حادثة نزول الوحي وبيَّن له أن ما نزل عليه هو وحي السماء الذي نزل على من قبله من الرسل والأنبياء – عليهم السلام–، وتمنى أن يكون شاباً وقت الدعوة، أفلا يستحق من وقف هذا الموقف الحزن الشديد على وفاته؟؟، ثم إن ورقة كان من أهل الفترة[79] على الحنفية[80] السمحة ممن كان موحدا، ولم يشرك ولم يُغيِّر فهؤلاء من أهل الجنة كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء[81] ونظراً لعظم الدور الذي قام به ورقة – على حد زعم الكاتب– في تجربة إعداد محمداً –صلى الله عليه وسلم– للنبوة أطلق عليه ألقاباً تدل على ذلك، هي: القس[82]، والمرجعية[83]، واليعسوب[84]، ومدير الحلقة الخارجية[85]، ومدير المتابعة[86]، والمستشار[87]، والأستاذ[88]، والمرشد[89]، والموجه[90]، والعميد[91]، والمعلم[92]، والمشرف[93]، وبحر العلوم[94]، وكهف المعرفة[95].

المطلب الثاني: خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-.

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى القرشية الأسدية أم المؤمنين، تكنى أم هند، وهي أول أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، وأول من أسلم بإجماع المسلمين، تزوجها أبو هالة بن زُرارة، ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عابد المخزومي، ثم تزوجها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قبل نزول الوحي وعمره حينئذ خمس وعشرون سنة، وكان عمرها أربعين سنة، أقامت معه – صلى الله عليه وسلم- أربعاً وعشرين سنة، وهي أُم أولاده كلهم إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، توفيت – رضي الله عنها- قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة[96].

يعد الكاتب – على حد زعمه- أن خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- المصدر الثاني في الحلقة الخارجية من مصادر تعليم النبي- صلى الله عليه وسلم – لذلك أطلق عليها لقب (الهندوز) [97]، وقد دلل الكاتب على دورها بالآتي:

أولاً: انتشار النصرانية في قبيلة بني أسد – رهط خديجة – رضي الله عنها-،

وقد فندّنا ذلك خلال حديثنا[98] عن دور ورقة بن نوفل، ثم إن الكاتب لم يأت بأي دليل من أي مصدر على معرفة خديجة بالنصرانية، وقد ذكرت المصادر[99] من تنصّر من بني أسد، ولم تذكر خديجة منهم.

ثانياً: حرص خديجة – رضي الله عنها- على الزواج من النبي- صلى الله عليه وسلم-.

عد الكاتب طلب خديجة -رضي الله عنها- من النبي – صلى الله عليه وسلم- الزواج منها من الخطوات التمهيدية لعملية تهيئة النبي – صلى الله عليه وسلم – للنبوة، فضلاً عن كونها ضرباً بعرض الحائط للعادات والتقاليد[100].

قلت: لم يكن عرض المرأة نفسها، على الرجل الكفؤ ضرباً بعرض الحائط للعادات والتقاليد قبل الإسلام، ولا فيه، فها هو الكاتب[101] ينقل عن البلاذري[102] أن قتيلة بنت نوفل أخت ورقة قد عرضت نفسها، على عبد الله بن عبدالمطلب والد النبي- صلى الله عليه وسلم- فكيف يكون الأمر ضرباً بعرض الحائط للعادات والتقاليد بالنسبة لخديجة – رضي الله عنها- ولا يكون كذلك بالنسبة لغيرها؟! وأما في الإسلام فقد وهبت[103] نساءٌ أنفسهن للنبي- صلى الله عليه وسلم-، وقد ذكرت خديجة – رضي الله عنها- سبب رغبتها بالزواج من النبي- صلى الله عليه وسلم -في ما ذكره ابن هشام[104]: "أنها قالت: يا ابن عم إني قد رغبت فيك؛ لقرابتك، وسِطَتِك[105] في قومك، وأمانتك وحسن خُلقك..."

ثالثاً: أن خديجة – رضي الله عنها- هي التي دفعت محمداً للخلوة بغار حراء.

نص الكاتب على هذا فقال: "... إن الخلوة مرحلة لازمة للقادم، وأن خديجة هي التي دفعته إلى الدخول في مرحلة الخلاء"[106].

قلت: إن التحنث[107] كان عرفاً مستقراً في الجاهلية دل على ذلك ما رواه ابن هشام في سيرته[108] من مرسل عبيد بن عمير الليثي"... كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم – يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تحنثُ به قريش في الجاهلية " . بل ناقض الكاتب نفسه، ونص على أن الخلوة عادة من عادات العرب المستقرة لديهم. فقال: "إن التحنث شكل طقساً من الطقوس المستقرة لديهم، أو سنة من سننهم" [109]، وتكمن أهمية الخلوة في غار حراء بالنسبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – لأنها كانت تمثل مرحلة من الإعداد الخاص والتربية الإلهية في جميع أحواله، وكان تحنثه قبل النبوة بالتفكر في ملكوت السماوات والأرض، والنظر في آياته الكونية الدالة على عظيم قدرته وإبداعه[110] قال الحافظ معلقاً على جملة: (حُبب إليه الخلاء): " لم يسم فاعله لعدم تحقق الباعث على ذلك وإن كان كل من عند الله، أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر، أو يكون ذلك من وحي الإلهام" [111].

رابعاً: جلسات التعليم التي كانت تعقدها خديجة- رضي الله عنها- لتعليم النبي – صلى الله عليه وسلم.

ذكر الكاتب هذه الجلسات، وما كان يدور فيها، فقال: " في ليالي مكة الطويلة، خاصة في الشتاء والربيع تشمِّر خديجة عن ساعديها، وتجلس إلى ابنها وزوجها الأمين تقرأ له على مهل، وتطالع له بتأنٍ صفحات من الاصحاحات، وتشرحها له وتطلب منه أن يحفظها كلها، وتستقبل أسئلته" [112].

قلت: ما فندنا به كلام الكاتب خلال حديثنا عن ورقة نفند به هذا الدليل خاصة النقاط: أ[113]، د[114].

خامساً: ذهاب النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى خديجة مباشرة بعد نزول الوحي عليه في غار حراء.

ذكر الكاتب سبب ذلك، فقال: "إنه فور ما يحدث له شيء لا يجد أمامه إلا حضن خديجة يلجأ إليه، ويجد فيه الطمأنينة، ويقص رؤاه عليها، ولا غرابة في ذلك فهي هندوز التجربة التي شحنت بطارية المخيلة التي تظهر على شاشتها" [115].

قلت : غاب عن ذهن الكاتب انه أجاب عن هذا الدليل في موضع آخر، فقال: " إن خديجة – رضي الله عنها- زوجته، وموضع سره، ومن فطرة الإنسان أنه إن وقع في ضائقة، فإنه

يذهب مباشرة لمن يثق بنصحهم وإرشادهم، ويعتقد أنهم سيساعدونه في الخروج منها بسلام"[116]، وهذا ما فعله النبي – صلى الله عليه وسلم – ويفعله كل إنسان عاقل، وهذا ما نص عليه الكاتب.

سادساً: إجادة خديجة – رضي الله عنها– للقراءة والكتابة.

برهن الكاتب على ذلك لأنها صاحبة تجارة، وهذا يستدعي إجادتها القراءة والكتابة، فقال: "خديجة– رضي الله عنها– امتلكت تجارة واسعة، واستأجرت الرجال، فمن المستحيل عقلاً أن تكون أُمية تجهل القراءة والكتابة" [117].

قلت: إن عمل خديجة – رضي الله عنها– بالتجارة لا يلزم منه إجادتها للقراءة والكتابة، فكم من شخص يملك التجارات الكبيرة، ولا يعرف القراءة ولا الكتابة، وبذلك لا توجد علاقة بين الاستدلال ونتيجته، ثم إن العلم في ذلك في الزمان لم يكن قضية مهمةً يقصدها الناس، لأنهم كانوا يعتمدون على الذاكرة، فالتجارة لم تكن تستدعي معرفة القراءة والكتابة، لأنها في الغالب كانت تعتمد على المقايضة[118]، ولم تذكر المصادر خديجة – رضي الله عنها– ضمن النساء اللاتي كُنَّ يُجدن القراءة والكتابة، فقد ذَكَرَهُنَّ البلاذري[119]، وهُنّ: "الشفاء بنت عبد الله العدوية، وحفصة بنت عمر– زوج النبي – صلى الله عليه وسلم، وأُم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد، وكريمة بنت المقداد، وعائشة بنت أبي بكر زوج النبي –صلى الله عليه وسلم– حيث كانت تقرأ ولا تكتب، وأم سلمة كانت تقرأ ولا تكتب. رضي الله عنهن أجمعين".

فالكاتب أراد الاستدلال بإجادة خديجة – رضي الله عنها– للقراءة والكتابة على تعلمها من ورقة، ومن ثم دورها في تعليم النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "إن معرفة سيدة نساء قريش بالقراءة تغدو أثبت وأعمق خاصة وأنها صاحبة تجارة واسعة تستدعي إجادة القراءة والكتابة، ومن ثم يصبح أمر استعارتها للصحف التي ترجمها ورقة من التوارة والإنجيل أمراً محتوماً" [120].

وقال: "هذه هي صفات جميع الآتين قبله كما قرأتها في الإصحاحات التي نقلها ورقة من اللسان العبراني، ودرّسها لها وعلمها إياها فاستوعبتها وخزنتها في ذاكرتها[121]"، كل ذلك ليصل إلى تعليمها للنبي –صلى الله عليه وسلم–، فقال: "وهنا نذكِّر بقيام ورقة بالتدريس وبترجمة الصحف من الكتاب المقدس وقراءة الطاهرة لها – فهي تقرأ وتكتب– واستيعابها ثم تلقينها وتحفيظه إياها[122]".

سابعاً: حزن النبي – صلى الله عليه وسلم– على خديجة– رضي الله عنها– وثناؤها عليها.

يذكر الكاتب أن حزن النبي –صلى الله عليه وسلم– وثناءه عليها نابع من الدور العظيم الذي قامت به – رضي الله عنها– في تجربة تأهيله للنبوة، فقال: "كان الأسى المرير على فَقْد خديجة –رضي الله عنها– أمراً بديهياً، لأنها الأم والزوجة التي آزرته وعضدته، والتي لولاها لما أكمل التجربة حتى نهايتها...، وهي التي أتاحت له قضاء الليالي الطوال مع ابن نوفل في المدارسة والمذاكرة...، وهي التي هيأت له الاختلاط بأصحاب كافة الملل والنِّحل والعقائد والأديان التي اكتظت بها مكة... وبقيت ذكراها متأججة في نفسه – صلى الله عليه وسلم– وبقي حتى آخر يوم شديد الوفاء لها فترك عدداً وفيراً من الأحاديث[123]. التي تقطع بعلو مكانتها، وسمو قدرها عنده".

قلت: رد الكاتب كلامه الآنف الذكر بنفسه في موضع آخر مبيّناً موقف خديجة من النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "إنها وحدها من دون الجميع آمنت به بينما كذبه قومه، وآزرته وعضدته، ووقفت بجواره في الحوالك والأزمات، ورزق منها الولد في حين عجزت سائر نسائه، دخلت معه في شعب بني المطلب طوال مدة الحصار الذي فرضه طواغيت قريش الذين خلت قلوبهم من الرحمة والإنسانية، وبالرغم من أنها ليست من بني هاشم إلا أنها آثرت أن تبقى بجوار بعلها تشاطره الشدة وتقاسمه المحنة، وتشاركه العسرة، ذلك موقف يعجز القلم عن تصويره، فالسيدة البالغة الثراء المترفة التي عاشت في رغد لم تشأ لها أخلاقها السامية أن تتركه وحده يعاني مشقات الحصار الظالم" [124]. أفلا تستحق من وقفت هذه المواقف الصادقة الحزن والألم والثناء؟!.

وأما ما يتعلق بقول الكاتب أن مكة كانت تزدحم بكافة أصحاب الملل والنحل والعقائد والأديان، فَيُرَدُّ عليه[125]: إن الحياة الدينية في مكة وشبه الجزيرة العربية كانت وثنية خالصة، وإن تَنَصَّر نفر يسير من العرب، وكانت تخلو من مظاهر الحياة الدينية النصرانية واليهودية، ولم يكن أي تأثير لمساكنة اليهود والنصارى للعرب على ديانتهم الوثنية، لأنه لم يكن لدى اليهود الرغبة في الدعوة إلى دينهم، قال ولفنسون[126]: "وبقيت هذه البطون العربية على أديان آبائها القديمة، بل بالعكس فإننا نستطيع أن نتحدث عن تأثير عربي في اليهود حيث تخلقوا بأخلاق العرب، ولا نعلم إقليماً تأثر فيه اليهود بأخلاق وعادات غيرهم إلى هذا الحد سوى إقليم الجزيرة العربية"[127]. وأما بالنسبة للديانة النصرانية فإن جمهور المستشرقين قد أطنبوا في ذكر مسيحيي نجران لبيان انتشار النصرانية في الجزيرة العربية، ليستدلوا بذلك على أن محمداً – صلى الله عليه وسلم– قد نهل من أتباعها علماً بأن المستشرقين قد وصلوا إلى نتيجة مفادها عدم وجود دليل على ميل أهل نجران إلى التبشير بديانتهم ولا على اتصالهم بأهل

مكة قبل انتشار الإسلام[128]. قال مالك بن نبي: "جميع الأبحاث التي توجهت إلى الكشف عن التأثير اليهودي والمسيحي في الوسط الجاهلي لم تأت بأية نتيجة إيجابية، بل حققت نتيجة مفاجئة على عكس ما أراده القائمون عليه من المستشرقين"[129]. قلت: مما يؤكد سيطرة الوثنية على الحياة الدينية في مكة وشبه الجزيرة العربية أن القبائل العربية كانت تعبد مئتين وثمانية وعشرين صنما[130]، فضلا عن الأصنام التي كانت داخل البيوت، قال ابن اسحاق: "واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسَّح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قدم من سفره تمسَّح به، فكان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله"[131]. فأين الديانات والعقائد والملل والنِّحل التي كانت تزدحم بها مكة؟!.

ثامناً: عدم وجود رواية لخديجة عن النبي – صلى الله عليه وسلم.

يستدل الكاتب – على حد زعمه– بعدم وجود رواية لخديجة –رضي الله عنها– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– على دورها في تجربة تعليم النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "خديجة– رضي الله عنها– عاشت مع محمد صلى الله عليه وسلم– عشرة أعوام، وروحها الطاهرة انتقلت إلى بارئها قبل هجرته بثلاثة أعوام، ومع ذلك لم ترو عنه حديثاً واحداً، في الوقت الذي نجد أن عائشة – رضي الله عنها– أمضت معه تسع سنوات، ومع ذلك روت عنه الفين ومئتين وعشرة أحاديث.. وهنا يثور في الذهن سؤال على قدرٍ من الأهمية: لماذا؟ ما العلة؟ ما السبب؟ فيجيب بقوله: بنت أبي بكر تلميذة، وتابعة ومتلقية، تلبي وتطيع وتأتمر بأمره، وتنفذ وتسمع، أما سيدة نساء الدنيا – يعني خديجة– رضي الله عنها– فهي الأم الرؤوم، وهندوز التجربة، والموجهة، والمشيرة عليه" [132].

قلت: لنا مع كلامه هذا وقفات عدة:

الأولى: ذكر ابن كثير[133] حديثين مسندين لخديجة – رضي الله عنها– عن النبي – صلى الله عليه وسلم– وهما:

1- عن خديجة – رضي الله عنها– قالت: "سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قلت: يا رسول بأبي أين أطفالي منك؟ قال: في الجنة"[134].

2- عن خديجة – رضي الله عنها– قالت: "لما أبطأ على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يعني الوحي– جزع من ذلك جزعاً شديداً، فقلت لما رأيت من جزعه لقد قلاك ربك لما يرى من جزعك، فأنزل الله تعالى:(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)"[135]. [سورة الضحى، الآية: 3].

الثانية: إن العهد المكي لم يكن عصر رواية، بل كان عصر بداية الدعوة الإسلامية، وتثبيت أركانها، لأنها كانت فترة ضعف، واضطهاد، وحصار وتهجير، لذلك كانت الجهود متجهة نحو التربية الإيمانية السليمة التي تقوم على تثبيت أركان الإيمان في النفوس، ونزع عقائد الشرك منها، من أجل ذلك انشغلت خديجة– رضي الله عنها– بالعناية بالدعوة في مرحلتها الأولى، حيث كانت تُسرِّي عنه –صلى الله عليه وسلم– ما يجد من قومه، وتثبته على دعوته، وتُخفف عنه أعباءها وتشد من أزره، وتهون عليه أمر الناس، ومما يدل على كون العهد المكي لم يكن عصر رواية أن روايات العهد المكي رُويت في العهد المدني من قبل صغار الصحابة – رضي الله عنهم– فهي من قبيل مراسيل الصحابة، ولا أدل على ذلك من حديثها في بدء الوحي[136]، حيث روته عائشة– رضي الله عنها–.

الثالثة: إنَّ العصر المدني الذي عاشت فيه عائشة – رضي الله عنها– استوت الدعوة على سوقها، وتكونت دولة الإسلام، فتحول الأمر من مرحلة تثبيت أركان الدعوة إلى مرحلة رواية الأحاديث النبوية، ولا ننسى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– تزوج عائشة –رضي الله عنها– وهي صغيرة السن، مما مكنها من حفظ كثير من الأحاديث، خاصة أنها نالت شرف صحبته– صلى الله عليه وسلم– حتى اللحظات الأخيرة من حياته؛ إذ اختار أن يمرض في بيتها[137]، كما أنها حظيت بيومين: يومها ويوم سودة بنت زمعة– رضي الله عنها– التي وهبت [138] يومها لعائشة –رضي الله عنها–، فضلاً عن تأخر وفاتها فاحتيج إليها، وإلى علمها، فسئلت وأجابت، حيث توفيت سنة سبع وخمسين للهجرة[139]. وهذا ما أشار إليه الإمام ابن تيمية –رحمه الله– عندما سئل عن خديجة وعائشة –رضي الله عنهما– أيهما أفضل؟، فأجاب:"سَبْقُ خديجة، وتأثيرها في أول الإسلام، ونصرها، وقيامها في الدين لم تشركها فيه عائشة، ولا غيرها من أمهات المؤمنين. وتأثير عائشة في آخر الإسلام، وحمل الدين، وتبليغه إلى الأمة، وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة، ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها".[140]

المبحث الثالث: المصادر الداخلية للعلم المحمدي عند الكاتب.

إن من يدقق النظر في ثنايا الكتاب، يجد أن المصادر الداخلية للوحي المحمدي – على حد زعم الكاتب – كانت كالآتي:

المطلب الأول: أُميّته – صلى الله عليه وسلم ..

يستدل الكاتب على بشرية العلم النبوي بأميته – صلى الله عليه وسلم –، فقال [141] : " ما يتم سماعه من القس ورقة وخديجة من الإصحاحات[142]، وما يعقبها من شروح وحوارات في الجلسات التي تستمر حتى بزوغ الفجر كل ذلك يجري تخزينه وبرمجته في ذاكرة الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، والأمي يتمتع بذاكرة حديدية، وحافظة واعية أشد الوعي".

قلت: إن أُميّة النبي – صلى الله عليه وسلم– ثابتة في الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة الأعراف، الآية 157]. ومن السنة: ما رواه مسلم[143] في صحيحه عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– أنه قال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة[144] إنه لعهد النبي الأمي – صلى الله عليه وسلم– إليّ: أن لا يُحبني إلا مؤمن، ولا يُبغضني إلا منافق".

إن الناظر في كتب التفسير يجد أن المفسرين[145] جعلوا أُميّة النبي – صلى الله عليه وسلم – دليلاً على أن ما جاء به لم يكن من تعليم بشر، وإنما هو من عند الله تعالى، لكن السؤال الذي يرد: هل يعد تعلّم النبي– صلى الله عليه وسلم– على فرض ذلك يشكل طعناً في معجزة القرآن، ونبوته– صلى الله عليه وسلم– ؟[146].

يُجاب: إن إعجاز القرآن لا يحتاج إلى أي اعتبار من خارج القرآن، بل هو قائم بذاته، ولا علاقة لذلك بأميته صلى الله عليه وسلم– أو تعلمه لأن القرآن معجز بفصاحته وبلاغته، ودقة ألفاظه، وثراء مجازه، ودقة مخارجه، وتآلف كلماته مع معانيها المحددة، وتقديم ألفاظه وتأخيرها، وإيجازه في مواطن، وإطنابه في أخرى، وهو معجز بتشريعاته، وبما تضمنه من علوم ومعارف، ونبوءات عن أخبار الماضي، والحاضر، والمستقبل[147].

إذن، فما احتواه القرآن من علوم ومعارف تتجاوز حدود معارف وعلوم البشر، وفي هذا دلالة على المصدر الإلهي للوحي حتى ولو فرضنا – أن محمداً –صلى الله عليه وسلم– كان يحضر مجالس أهل الديانات من يهود ونصارى، قال تعالى:(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [سورة الإسراء، الآية: 88].

المطلب الثاني: وحيه النفسي – صلى الله عليه وسلم–.

يرى الكاتب أن ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– كان وحياً نفسياً نتج عن إداركه الوجداني واستنباطه العقلي، عبّر عنه بأسلوبه ولغته، مكنه من ذلك إدراكه النفسي العميق[148]، نتيجة لعملية الشحن على يدي ورقة وخديجة– رضي الله عنها– فقال: "هذه القصص التي سمعها محمداً– صلى الله عليه وسلم– في التجمعات الموسمية وحلقات المدارسة في ليالي مكة الطويلة على يدي ورقة وخديجة – رضي الله عنها– تركت في نفسه ووجدانه أخاديد عميقة، وإذا استمر الأمر لسنوات بلا كلل ولا ملل تسربت الفكرة إلى الأعماق وهو ما يحدث في خطوة التدشين[149]– أي إعلان النبوة". واستدل الكاتب على ذلك بقول ابن خلدون[150]: "إن الإنسان إذا أعدّ نفسه قبيل النوم إعداداً نفسياً في سبيل فكرة، فإنه سيرى تلك الفكرة ويُعبر عنها" كل ذلك ليثبت دور ورقة وخديجة – رضي الله عنها– في عملية الشحن التي استمرت لسنوات عديدة حتى عبّر محمد –صلى الله عليه وسلم– عن ذلك بإشراقه النفسي العميق. وقد فنّد الدكتور البوطي[151]، هذه الشبهة، فقال: "إن مفاجأة جبريل للنبي – صلى الله عليه وسلم – ثم غطه وإرساله، وما تبع ذلك من خوف يدل على أن الوحي أمر خارجي لا علاقة له بحديث النفس، لأن حديث النفس لا يلزم منه الخوف والرعب، وذهاب خديجة – رضي الله عنها به– إلى ورقة أكّد أن ما نزل عليه هو الوحي الإلهي، وأزال كل لُبس عن تفسير ما جرى، ثم إن انقطاع الوحي وتتابعه يدحض شبهة الوحي النفسي، لأنه لو كان كذلك فلا داعي لانقطاعه، مما يدل على استقلالية الوحي عن ذات النبي وإرادته". ثم إن ما جاء به– صلى الله عليه وسلم– من أخبار الأمم الماضية يفوق طاقة العقل البشري مهما بلغ الإنسان من إشراق نفسي، لأن القرآن تناول تلك الأخبار بتفصيل لحقائقها بشكل تعجز عنه العقول، ويُسكت الأقلام، ويُخرس الألسنة، بحيث يستحيل على محمد –صلى الله عليه وسلم– أن يعرفها، أو يطّلع على أخبارها مما يؤكد أُلوهية الوحي المحمدي[152]، قال تعالى:(تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) [سورة هود، الآية: 49]. قال محمد عبد الله دراز[153]: "ما يروجه الملحدون اليوم باسم (الوحي النفسي) ليس بالرأي الجديد، بل هو الرأي الجاهلي القديم عندما صوروا محمداً –صلى الله عليه وسلم – رجلاً ذا خيالٍ واسع فهو إذاً شاعر، ثم قالوا إنه يُخيّل إليه أنه يسمع شخصاً يكلمه فهو الجنون، أو أضغاث أحلام، ثم هجروا الوحي النفسي، عندما وجدوا دقة حديث القرآن عن الأخبار الماضية والمستقبلية، فقالوا أخذها من أفواه العلماء في

أثناء أسفاره، فهو قد علمه بشر فهذا كله ترداداً لما قاله كفار قريش هكذا استمد الإلحاد الجديد أفكاره من فتات موائد القلوب المتحجرة في عصور الجاهلية الأولى، قال تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [سورة البقرة، الآية: 118].

المطلب الثالث: عبقريته – صلى الله عليه وسلم – .

جعل الكاتب العبقرية الفذة التي كان يتمتع بها النبي – صلى الله عليه وسلم – سبباً في تطلعه كي يصبح نبياً فقال: "إن التجربة بدأت بالمشي بالأسواق، ثم بالمدارسة بسائر ضروبها من قراءة عليه، وتحفيظ وشرح وتفسير، جماع ذلك كله شكَّل شحنة بالغة الكثافة في نفسه، ولسنا بحاجة إلى أن نذكر أنه عبقري فطن جعلته يتطلع كي يصبح واحداً من أولئك الرجال الذين أحاط خبراً بحكاياتهم" [154]، وقال أيضا: "لا شك في أن النجاح الكبير في الإعداد والتصنيع والتهيئة يرجع إلى عبقريته، ذلك أن سيرته وخبراته الشخصية، وملكاته العقلية والنفسية واللسانية كانت ركائز أساسية في نجاح التجربة" [155].

قلت: جعل الكاتب عبقريته– صلى الله عليه وسلم – مصدراً مكملاً للدلالة على بشرية العلم النبوي كما فعل (مونتيه)[156] فخلال تعداده لمصادر القرآن، قال: "أخيراً يأتي المصدر الإسلامي الصرف، وهو عبقرية محمد الدينية" [157]، ويُجاب عن هذه الشبهة بالآتي:

1- هذه كلمة حق أريد بها باطل، لأن الهدف منها هو طمس الوحي الإلهي، وصرف الناس عن نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم – واستبدالها بعبقريته، قال عبد المثقال محمد الجبري: "إنما يحرص المستشرقون على تصوير النبي – صلى الله عليه وسلم – بصورة العبقري، أو المصلح، أو البطل، لأن كل هؤلاء تنتهي معهم أفكارهم، وليسوا جديرين بالخلود والاستمساك بمذاهبهم كما يتمسك الناس برسالات الأنبياء" [158].

2- إن مفهوم الوحي يختلف اختلافاً كلياً عن مفهوم العبقرية، لأن الوحي الإلهي شامل لكل جوانب الحياة، أما العبقرية فلا يمكن أن يكون صاحبها عبقرياً في كل شؤون الحياة، بل في جانب واحد، ومع ذلك لن يكون ملماً بجميع جزئياته فأنى لعبقري مهما كان فذاً معرفة ما جاء النبي –صلى الله عليه وسلم– ؟! من أخبار الماضي والمستقبل، وغير ذلك انه الوحي الإلهي، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا [159])[سورة الكهف، الآية، 110].

3- كم في الناس من عباقرة، وكم فيهم من نوابغ، وكم فيهم أذكياء!، ولكن أنى للعبقرية، أو النبوغ، أو الذكاء، أن تكسب صاحبها نبوة أو رسالة؟!.

4- هل يعقل من عبقري أن يذكر في كتابه الذي جاء به إنذاراً وتهديداً لنفسه؟ كما قال تعالى:(وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا)[سورة الإسراء، الآية: 74–75].

5- وهل يعقل أن يعاتب نفسه بنفسه كما في إعراضه عن ابن أم مكتوم – رضي الله عنه–التي نزل فيها قرآناً يُتلى إلى يوم الساعة، قال تعالى:(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ) "[سورة عبس، الآية: 1– 11].

6- وهل يعقل من عبقري أيضاً أن يعلن حادثة الإفك التي مست عرضه؟ أما كان بإمكانه أن يكتم مثل هذه الأمور؟! لكنه الوحي الإلهي الذي لا يستطيع كتمانه وتبديله، قال تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [سورة يونس، الآية: 15].

المطلب الرابع: خياله وطموحه – صلى الله عليه وسلم–.

عدّ الكاتب خيال وطموح النبي – صلى الله عليه وسلم – مصدراً داخلياً من مصادر، الوحي، وقد عبّر عن ذلك بقوله: "إن التجربة بدأت بالمشي في الأسواق، ثم بالمدارسة بسائر ضروبها... جِمَاع ذلك كله شكل شحنه بالغة الكثافة في نفسه، ولسنا بحاجة أن نذكر أنه فطنٌ لمّاح يتطلع كي يصبح واحداً من أولئك الرجال الذي أحاط خبراً بحاكاياتهم" [160]. وقد دلَّل الكاتب على ذلك بقول الدكتور خالد الطويل: "عندما ينام الشخص وتفكيره مستغرق في موضوع معين... ففي هذه الحالة تقوى مخيلته، وتنشط في القيام بمهام وظيفتها فتُطبع عليها صور ومعاني الموضوع الذي استحوذ عليه وهو يقظان" [161].

قلت: تأثّر الكاتب في هذه المصدر بالمستشرقين: (كأندرسون) [162] الذي عبّر عن الوحي بقوله: "هو نتاج التفكير الرغبي" [163]. (وبمونتكمري وات) [164] الذي وصف الوحي بقوله: "هو نتاج خيال خصب خلّاق [165] و(بويلز) [166] الذي قال: "إن محمداً – صلى الله عليه وسلم – رجل دفعته طموحاته ووساوسه في سن الكهولة إلى تأسيس دين ليُعد

في زمرة القديسين" [167]. و(بجولد زيهر) [168] القائل: "... ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد – صلى الله عليه وسلم – الصور التي أوحتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد" [169].

ويجاب: "إن محمداً – صلى الله عليه وسلم – لم يظهر عليه قبل البعثة ما يدل على طموحات أو بوادر خيالية، وعلى فرض صحة ذلك فإن قليلاً من الاضطهاد والأذى كافٍ لجعله يُعيد النظر في خياله وطموحه، ولكن الذي حمله على الصبر على كل أنواع الأذى هو يقينه بألوهية الوحي النازل عليه، وشعوره بالمسؤولية تجاه هذا التكليف الرباني، كما أننا لا نلمس أي أثر للاستعلاء، أو الكبر في تعامله مع رعيته حتى عندما دانت له جزيرة العرب، بل بقي مثالاً للرحمة والزهد والتواضع، ولم يأت في أي خبر أنه كان يطمح أن يكون نبياً، ولو وجد ذلك لذكره المؤرخون، بل نفى القرآن عنه أيّ طموح، قال تعالى:(وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ) [سورة القصص، الآية: 86] [170].

ولكن يجدر بنا أن نذكر أن اعتبار خيال وطموح محمد – صلى الله عليه وسلم- مصدراً داخلياً للوحي الذي أعلنه المستشرقون (أندرسون ووات، وبويلز وزيهر) ورردده الكاتب ليس بابتكار جديد، بل هو إحدى الدعاوى التي صرّح بها الكفار لكنهم استخدموا تعبير (أضغاث أحلام) بدلاً من (الخيال والطموح) [171]، وقد أشار القرآن إلى ذلك، قال تعالى:(بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) [سورة الأنبياء، الآية:5]. قال الإمام الألوسي: "إن تخاليط الكلام التي لا تنضبط لا شبه لها بوجه بالنظم الأنيق الذي أبكم كل منطيق، ثم إدعاء أنها مع كونها تخاليط مفتريات أبعد وأبعد، لأن النظم بمادته وصورته من أتم القواطع دلالة على الصدق كيف وقد انضم إليه أنه – صلى الله عليه وسلم – عَلَمٌ عندهم في الأمانة والصدق، وهم أعرف الناس بالتمييز بين المنظوم والمنثور طبعاً، وبين ما يُساق له الشعر، وما سيق لهذا الكلام الذي لا يشبه بليغات خطبهم فضلاً عن ذلك، وبين محسنات الشعر ومحسنات هذا النثر هذا فيما يرجع إلى الصورة وحدها، ثم إذا جئت إلى المادة وتركب الشعر من المخيلات والمعاني النازلة التي يهتدي إليها الأجلاف، وهذا من اليقينيات العقدية والدينيات العملية التي عليها مدار المعادح والمعاش وبها تتفاضل الأشراف فأظهر وأظهر، هذا والقائل عليه الصلاة والتسليم – ممن لا يتسهل له الشعر وإن أراده خالطوه وذاقوه أربعين سنة"[172].

المطلب الخامس: حُلمُه – صلى الله عليه وسلم – الذي رآه في غار حراء.

يزعم الكاتب أن ما حدث لمحمد – صلى الله عليه وسلم – في غار حراء لم يكن لقاءً مباشراً مع جبريل عليه السلام، بل كان مناماً فحسب، فقال: "في إحدى المرات نضجت الثمرة- أي ثمرة جهد ورقة وخديجة – رضي الله عنها – في الرؤيا المنامية في المغارة بظهور كائن علوي له" [173]. وما ذلك إلا ليحقق هدفين: الأول: إثبات أنّ ما رآه النبي –صلى الله عليه وسلم- في غار حراء كان حُلماً، فقال: "إذا كان الأمر يحتاج للوصول إلى الملأ الأعلى، فلا بُد –بطريق الحتم واللزوم- أن يصير الجسم حصراً وتحديداً الأعضاء أو الأوعية التي تتلقى فيوضاته وإشراقاته مهيأة لاستقبالها فمن الضروري غسلها وتطهيرها وحبذا لو تم بماء مقدس هذه الطلبة العارمة التي ملأت عليه أقطار نفسه وجوانب قلبه، وبواطن وجدانه يقول لنا علم النفس إنها تتحول إلى حلم" [174] وبذلك يكون الكاتب قلّد (بكزيميرسكي) [175]، الذي ادعى أن اللقاء الأول مع ملك الوحي كان مناماً ليصور الوحي في صور حُلْم) [176].

الثاني: بيان دور ورقة وخديجة – رضي الله عنها- في تجربة إعداد محمد – صلى الله عليه وسلم – للنبوة لهدف نفي أُلوهية الوحي، وبالتالي نفي النبوة، فبعد أن أكد أن ما حدث مع محمد – صلى الله عليه وسلم – في غار حراء كان مناماً ختم كتابه بقوله: "تلك التجربة – يعني تجربة تهيئة محمد –صلى الله عليه وسلم – للنبوة التي خططت لها الطاهرة المطهرة – أي خديجة – رضي الله عنها-، ثم نفذتها بمهارة يعز نظيرها، وأثبتت أنها هندوز لا يشق لها غبار، وأشرف عليها الشيخ الجليل، والقس العالم اليعسوب ورقة بن نوفل" [177]، وقد استدل الكاتب على كون ماحدث مع النبي – صلى الله عليه وسلم- في غار حراء كان مناماً، وبالتالي حلما- استدل عليه بما رواه ابن هشام[178]، عن عُبيد بن عُمير بن قتادة الليثي، قال:" قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –فجأني جبريل وأنا نائم بنمط[179]، من ديباج[180] فيه كتاب، فقال: اقرأ"...."

قلت: لنا مع هذا الحديث وقفتان، الأولى: هذا حديث ضعيف؛ لأنه من رواية عُبيد بن عُمير الليثي، وهو معدود في التابعين، فحديثه مرسل[181]، والمرسل لا يحتج به عند جمهور العلماء قال ابن الصلاح:"وعدم الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ونُقاد الأثر"[182].

والثانية: هذا الحديث يخالف في الظاهر حديث عائشة [183] – رضي الله عنها – أنها قالت:" أول ما بُدئ به رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصالحة [184]

في النوم .. ثم حُبب إليه الخلاء...حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ..." فهذا الحديث يصرح بأن مجيء الوحي كان في حالة اليقظة، وأن الرؤيا الصالحة كانت قبل نزول الوحي، وعلى فرض صحة مرسل عُبيد الليثي يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – جاءه جبريل –عليه السلام – في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به، لأن أمر النبوة عظيم، وعبء ما فيها ثقيل والبشر ضعيف[185]، وذكر ابن كثير[186] ما ذكره السهيلي، ثم زاد: "... وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عقبة، عن الزهري، أنه رأى ذلك في المنام، ثم جاءه الملك في اليقظة" [187].

قلت: من خلال ما تقدم تبين لنا أن ما استنتجناه من تقسيم الكاتب مصادر العلم النبوي إلى مصادر داخلية وخارجية يعني القدح في رسالته –صلى الله عليه وسلم–، وأن نبوته –صلى الله عليه وسلم– من قبيل التمثيل والادعاء ، وهذا يعني أن لا رسالة ولا رسول.

النتائج

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. يعد كتاب –فترة التكوين في حياة الصادق الأمين– أخطر مؤلفات الكاتب خليل عبد الكريم على الإطلاق، وإن كانت كلها خطرة، وذلك لنفيه الصبغة الإلهية عن الوحي، وإضفاء الصبغة البشرية عليه.

2. عنوان الكتاب الموسوم ب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين" يشير إلى مضمونه ومحتواه، حيث يدل على خضوع –النبي صلى الله عليه وسلم– لعملية تدريب وتأهيل وتهيئة بشرية، ليُعلن نفسه نبيا.

3. انتماء الكاتب لمدرسة الحداثة في العالم العربي التي تقوم مبادئها على التحرر من سيطرة الثوابت والمعتقدات، وزحزحة وخلخلة القناعات بها، وإعادة النظر في كل المسلَّمات التراثية والعقدية الدينية، وإخضاعها لمنطق العقل، لأنه أساسها، وهذا ماظهر جليا في الكتاب، وذلك من خلال ما بذل الكاتب من جهد مضنٍ لتغيير قناعة القارئ المسلم المتمثلة بالصبغة الإلهية للوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبدالها بالصبغة البشرية.

4. تمثلت المصادر الخارجية للعلم النبوي بمصدرين، هما: ورقة بن نوفل، وخديجة بنت خويلد –رضي الله عنها– وقد أكد الكاتب دورهما بشكل كبير، وخاصة دور خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها– ؛ وتمثلت المصادر الداخلية؛ بأميته –صلى الله عليه وسلم–، ووحيه النفسي، وعبقريته، وخياله وطموحه، وحُلمه الذي رآه في غار حراء.

5. بطلان ما استدل به الكاتب على مصادر علم النبي – صلى الله عليه وسلم– الداخلية والخارجية.

6. إن المصادر الداخلية والخارجية للعلم النبوي –من وجهة نظر الكاتب– لا تزيد على أنها تكرار لاتهامات كفار قريش الباطلة للنبي –صلى الله عليه وسلم–، التي رددها من بعدهم الحاقدون من المستشرقين، وتأثر بها الكاتب، مما يدل على مدى تأثر مدرسة الحداثة في العالم العربي بمبادئ مدرسة الحداثة في الغرب في نظرتها للوحي.

7. مرقف الكاتب من الوحي الإلهي إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– هو تشكيك في أصل الدين، مما يعني أن لا وحي، ولا رسالة، ولا قرآن، وأن نبوته –صلى الله عليه وسلم– ما هي إلا تمثيل وادعاء.

8. تناقض الكاتب فيما يورده من معلومات؛ فما يذكره في مكان ينقضه في آخر.

الهوامش

(1) الحداثة: منهج فكري نقدي غربي يقوم على التحرر من سيطرة الثوابت والمعتقدات، وإخضاعها لهيمنة العقل في كل مجالات الحياة. انظر: عواد، إبراهيم بركات، الحداثة وموقفها من متن الحديث النبوي "خليل عبد الكريم أنموذجا"، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 38، العدد2، تشرين الثاني 2011م، ذو الحجة 1432هـ، ص582.

(2) أبو زيد: كاتب مصري، ولد سنة 1943 في محافظة طنطا، تخرج من الثانوية العامة سنة 1968م، حصل على درجة الدكتوراة من جامعة بنسلفانيا عام 1981م، عمل على تطبيق مشروع فكري يقوم على نقد الاجتهادات المتنوعة في فهم النصوص الدينية وتأويلها استناداً إلى فكرة التمييز بين الدين والفكر الديني الذي ينتجه البشر، له مؤلفات كثير، منها فلسفة التأويل، ونقد الخطاب الديني، توفي سنة 2012م. انظر: د. أيوب أبو دية، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط1، نشر وزارة الثقافة الأردنية، 2008م، ص714– 719.

(3) حسن حنفي مفكر مصري، ولد عام 1935م في القاهرة، حصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة السوربون عام 1966م، يرتكز مشروعه الفكري على الثورة على الثوابت والمعتقدات، وإخضاعها لسيطرة العقل، له العديد من المؤلفات، منها: من العقيدة إلى الثورة، الدين والثورة في مصر، من النقل إلى الإبداع. انظر د. أيوب أبو دية،

موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، ص190–196.

(4) حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي: حزب سياسي يساري مصري، ظهر بعد صدور قانون الأحزاب عام 1976م، يخالف سياسة الإنفتاح الاقتصادي، والمصالحة مع أمريكا. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ط2، دار الجيل، 2001م، ج2، ص987.

(5) د. أيوب أبو دية، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، ص232– 235 بتصرف.

(6) ابن حجر، علي بن أحمد، (ت852هـ)، فتح الباري، ط3، عناية محمد فؤاد عبد الباقي، نشر مكتبة دار السلام، 1421هـ– 2000م، ج1، ص34.

(7) ابن جرير الطبري، (ت310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ط1، ج1، ص522، وابن حجر، فتح الباري، ج1، ص34.

(8) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص34.

(9) الحَجُون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. انظر ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، (ت626هـ)، ط2، ج2، ص225.

(10) اليعقوبي، (ت292هـ)، التاريخ، ط د، ج1، ص257.

(11) خليل عبد الكريم، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ط2، دار محروسة، مصر، 2004م، ص9، ص101.

(12) سيأتي التعريف بورقة بن نوفل ص(3).

(13) هو عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزّى، أحد الأحناف الذين تركوا عبادة الأصنام، قدم على ملك الروم فتنصّر، وحسنت منزلته عنده. انظر: الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، (ت942هـ)، سبل الهدى والرشاد، ط1، تحقيق، عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ، ج2، ص82.

(14) هي قتيلة بنت نوفل بنت أسد بن عبد العزّى بن قصي، أخت ورقة، عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب، وكانت تنظر في الكتب. انظر: ابن سعد، محمد سعد (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، ط د، دار صادر، بيروت، ج1، ص95–96.

(15) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ط5، ص491.

(16) أحمد بن يحيى، (ت279هـ)، أنساب الأشراف، ط1، 1417هـ– 1996م، ج1، ص104.

(17) الظئر: المرضعة. انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ط1، ج3، ص2235.

(18) فترة التكوين، ص163.

(19) سيأتي بيان معناه بهامش رقم (81).

(20) فترة التكوين، ص162.

(21) انظر: ابن حجر، لسان الميزان، ط1، ج6، ص258.

(22) انظر: الذهبي، ميزان الإعتدال، ط د، ج5، ص429.

(23) لسان الميزان، ج7، ص270.

(24) يحيى بن معين، التاريخ، ط1، ج2، ص517.

(25) مسلم بن الحجاج، (ت261هـ)، الكنى والأسماء، ط1، ج2، ص840.

(26) أبو حاتم، الجرح والتعديل، ط1، ج7، ص361.

(27) ابن حجر، تقريب التهذيب، ط2، 1395هـ– 1975م، ج2، ص163.

(28) انظر: الذهبي، ميزان الإعتدال، ج1، ص296.

(29) النسائي، أحمد بن شعيب، (ت303هـ)، الضعفاء والمتروكين، ط2، تحقيق بوران الضناوي، وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، 1407هـ– 1987م، ص211.

(30) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ط3، 1409هـ– 1988م، ج2، ص71

(31) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص93.

(32) انظر: فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص120.

(33) انظر: علي بن إبراهيم الحلبي، (ت1044هـ)، السيرة الحلبية، ط3، ج1، ص163– 167.

(34) المصدر السابق، ج1، ص165.

(35) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص62. 22

(36) المصدر السابق، ص160، وانظر أيضاً: ص12، 37، 119، 127، 281– 282، 306.

(37) إميل درمنغام: مستشرق فرنسي، تولى إدارة مكتبة الجزائر، من آثاره: حياة محمد، والسنة المحمدية، وغيرها. انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ط3، ج1، ص297– 298.

(38) عتر، نبوة محمد في القرآن، ط1، ص217.

(39) موير: مستشرق اسكتلندي، درس الحقوق في جامعة أدنبرا، عُين أميناً لحكومة الهند من عام 1865– 1868، ومن آثاره: سيرة النبي والتاريخ، وحوليات الخلافة، وغيرها: توفى سنة 1905م. انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون ج2، ص492.

(40) ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرهافي الدراسات الإسلامية، ط1، ج3، 98.

(41) محمد رشيد رضا، (ت1856هـ)، الوحي المحمدي، ط د، 1408هـ– 1998م، ص50.

(42) محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب بدء الوحي، باب بلا ترجمة، ج1، ص29، (3)، ط3.

(43) القيّن: الحدّاد. انظر: الجوهري، الصحاح، ط1، ج6، ص60.

(44) فترة التكوين في حياة الصادق الامين، ص17.

(45) البخاري، الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب بدء الوحي، باب بلا ترجمة، ج1، ص29، (3).

(46) انظر: العيني، عمدة القاري، ط1، ج1، ص105.

(47) الناموس: صاحب السر، والمراد به هنا جبريل عليه السلام. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص35.

(48) الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب بدء الوحي، باب بلا ترجمة، ج1، ص29، (3).

(49) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص36.

(50) المصدر السابق، ج1، ص36، بتصرف.

(51) البخاري، الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب بدء الوحي،

باب بلا ترجمة، ج1، ص29، (3).

(52) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص168، وانظر: ص84.

(53) الشّف: الستر الرقيق، انظر: الأزهري، معجم التهذيب اللغة، ج2، ص1899.

(54) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص170.

(55) انقطاع الوحي: هوتأخيره فترة من الزمن. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص37.

(56) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص37 .

(57) زملوني: لفوني. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص33.

(58) البخاري، الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب بدء الوحي باب بلا ترجمة، ج1، ص37، (4).

(59) البخاري، الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب التعبير، باب أول ما بدء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الوحي، ج12، ص440– 441 (69820).

(60) أحمد بن حنبل، (ت241هـ)، المسند، ط1، ح43، ص112– 114، (25959).

(61) أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، ط1، ج1، ص359.

(62) الأصبهاني، دلائل النبوة، ط2، ص168– 169.

(63) ذروة الجبل: أعلى الجبل. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج12، ص451.

(64) تبدّى: بمعنى الظهور. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج12، ص451.

(65) مسلم بن الحجاج، (ت261هـ)، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الوحي إلى رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ، ص64، رقم (160). ط1.

(66) المصدر السابق، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الوحي إلى رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_، ص64.

(67) المسند، ح43، ص52– 53، (25865).

(68) الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب بدء الوحي، باب بلا ترجمة، ج1، ص29– 39، (3).

(69) الصحيح، كتاب الإيمان، باب الوحي إلى رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_، ص64.

(70) فتح الباري، ج12، ص450. وللمزيد انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ط1، ج10، ص451–459 .

(71) البلاغ : هو الخبر الذي يقول فيه المصنف: بلغني عن فلان. انظر: الشمالي، الواضح في مناهج المحدثين، ط2، ص305.

(72) ابن رجب الحنبلي، شرح علل الترمذي، ط1، ج1، ص435.

(73) المصدر السابق، ج1، 435.

(74) المصدر السابق، ج1، ص435.

(75) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص170.

(76) محمد بن عيسى (279هـ)، الجامع، كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي _صلى الله عليه وسلم_ الميزان والدلو، ج4، ص127، (2288)، وقال: هذا حديث غريب، وعثمان بن عبد الرحمن ليس عند أهل الحديث بالقوي، ط2، انظر: ضعيف سنن الترمذي، ط1، ص257 (397).

(77) منتكمري واط: عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرا، من آثاره: محمد في مكة، عوامل انتشار الإسلام، والإسلام والجماعة. انظر: العقيقي، المستشرقون، ج2، ص554.

(78) الطهطاوي، التبشير والاستشراق، ط د، ص46.

(79) أهل الفترة: من كانوا بين رسولين لم يُرسل لهم الأول ولم يدركوا الثاني. انظر: شكري، أهل الفترة ومن في حكمهم، ط1، ص59.

(80) الحنفية: موافقة الفطرة بالتوحيد، وترك ما نهى الله عنه، وفعل ما أمر الله به. انظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط1، دار السلام، القاهرة، 1405هـ. ج1، ص280.

(81) انظر: شكري، أهل الفترة ومن في حكمهم، ص67.

(82) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص157، 158، 159، 163، 166، 168، والقس: هورئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم. انظر: الجوهري، ج3، ص138.

(83) المصدر السابق، ص11، 81، 282، 283. والمرجعية: هي ما يُرجع إليه في علم أو أدب. انظر:المعجم الوجيز، ج2، إصدار مجمع اللغة العربية، 1406هـ– 1986م، ص257.

(84) المصدر السابق، ص 69، 120، 127، 147، 159، 160، 162، 168، 170، 282، 283، واليعسوب: هو الرئيس، وهو مستعار من يعسوب النحل، وهو فحلها. انظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ط1، عناية، ص544.

(85) المصدر السابق، ص124، والمدير: من يتولى الشؤون لأي عمل. انظر: القاموس العربي الشامل، ط1، ص531. والمقصود بمدير الحلقة الخارجيّة هنا: مدير المصادر الخارجيّة في تعليم وإعداد النبي – صلى الله عليه وسلم– للنبوة.

(86) المصدر السابق، ص53، 155. والمدير من يتولى الشؤون لأي عمل انظر: المصدر السابق، ص531. والمقصود هنا: مدير الحلقة الخارجية لمتابعة عملية إعداد وتهيئة النبي – صلى الله عليه وسلم – للنبوة.

(87) المصدر السابق، ص110، 155، والمستشار هو العليم الذي يؤخذ رأيه في الأمور المهمة. انظر: المعجم الوجيز، ص354.

(88) المصدر السابق، ص11، ص165، والأستاذ: المعلم الماهر في صناعته. انظر: القاموس العربي الوسيط، ط1، ص4.

(89) المصدر السابق، ص11، 13، 164. والمرشد: الدليل، الهادي. انظر :القاموس العربي الوسيط، ص655.

(90) المصدر السابق، ص13، 155، والموجه: المرشد. انظر: علي هادية، القاموس الجديد، ط1، ص1166.

(91) المصدر السابق، ص156، والعميد: المعتمَد عليه في الأمور. انظر: المعجم الوجيز، ص334.

(92) المصدر السابق، ص 13. والمعلم: الماهر في صناعته. انظر: المعجم الوجيز، ص432.

(93) المصدر السابق، ص 120، والمشرف: من تولى الأمر وتعهده. انظر: المعجم الوجيز، ص341.
(94) المصدر السابق، ص 282، وبحر العلوم: المتوسع المتعمق في العلم. انظر:المعجم الوجيز، ص37.
(95) المصدر السابق، ص282، وكهف المعرفة: من يُلجأ إليه في العلم. انظر: الفيومي، المصباح المنير، ط4، ج2، ص745.
(96) ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، ج5، ص260-265.
(97) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص119، 160، 162، 277، 283، والهندوز: العالم بالأُمور. انظر: القاموس العربي الوسيط، ط1، ص767.
(98) انظر: ص4 من هذا البحث.
(99) انظر: هامش رقم (7)، (12).
(100) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص 39، وانظر: ص36، 37، 263.
(101) المصدر السابق، ص104.
(102) أنساب الأشراف، ج1، ص89.
(103) مثل: خولة بنت الحكم -رضي الله عنها- انظر: البخاري، الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب النكاح، باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد، ج9، ص205، (5113).
(104) ابن هشام، محمد عبد الملك، (ت213هـ)، السيرة النبوية، ط1، ج1، ص235.
(105) السطة: بسين مكسورة، وطاء مفتوحة مهملتين، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل في مقامي: ذكر النسب، وذكر الشهادة: انظر: الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج2، ص167.
(106) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص 320، وانظر: ص329، 333، 334.
(107) التحنث: التعبد. انظر: البخاري، الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب بدء الوحي، باب بلا ترجمة، ج1، ص29، (3).
(108) انظر: ج1، ص277- 278.
(109) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص 329.
(110) عرجون، محمد رسول الله، ط2، ج1، ص254- 269، بتصرف يسير.
(111) فتح الباري، ج1، ص31.
(112) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص 282، وانظر: ص281، 285، 304- 308.
(113) انظر: ص3- ص4 من هذا البحث.
(114) انظر: ص6 من هذا البحث.
(115) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص 314، بتصرف يسير.
(116) المصدر السابق، ص37، بتصرف يسير.
(117) المصدر السابق، ص109، وانظر أيضاً: ص34، 160.
(118) المقايضة: معاوضة عرض بعرض. انظر: عبدالرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ط2، ج3، ص331.
(119) أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، ط د، ص661- 662.
(120) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص34.
(121) المصدر السابق، ص35.
(122) المصدر السابق، ص85، وانظر: ص84.
(123) المصدر السابق، ص84- 89، وانظر: ص9، 84، 170.كحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بشر خديجة ببيتٍ في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب. انظر:مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل خديجة، ص 948، 2433
(124) المصدر السابق، ص84- 85.
(125) د. لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، ط1، تونس، ص380 بتصرف.
(126) ولفنسون: مستشرق أمريكي، من آثاره : أرسطو والفلسفة العربية، والمصطلحات العربية والعبرية، وغيرها .انظر :نجيب العقيقي، المستشرقون، ج3، ص1023 .
(127) شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، ص308.
(128) المصدر السابق، ص 380-381 بتصرف.
(129) الظاهرة الاستشراقية، ط1، ص244-245.
(130) أحمد محمد عبيد، معجم أصنام العرب، ط1.
(131) محمد بن اسحق، (151هـ)، السيرة النبوية، ط1، ج1، ص63.
(132) المصدر السابق، ص135، بتصرف يسير.
(133) إسماعيل بن كثير، (ت 774هـ)، جامع المسانيد، ط د، ج15، ص400-401.
(134) أبو يعلى، المسند، ط1، ج12، ص504.(7077). والطبراني، (ت306هـ)، المعجم الكبير، ط د، ج23، ص16، (27). قال الهيثمي: رواه الطبراني وأبو يعلى، ورجالهما ثقات، إلا أن عبد الله بن الحارث بن نوفل، وابن بريد – يعني عبد الله – لم يدركا خديجة- انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ط1، ج7، ص315(11942).
(135) البيهقي، دلائل النبوة، ط1، 1405هـ، ج7، ص60، قال البيهقي: في هذا انقطاع. قلت: لأن عروة بن الزبير لم يدرك خديجة، لأنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، بينما ولد عروة في أوائل خلافة الفاروق . انظر: ابن الأثير، أسد الغابة ج5، ص265 وابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص19.
(136) البخاري، الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، كتاب بدء الوحي، باب بلا ترجمة، ص29، (3). وانظر أيضاً هامش (73).
(137) المصدر السابق، كتاب المغازي، باب مرض النبي – صلى الله عليه وسلم – ج8، ص177، (4442).
(138) المصدر السابق، كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها.. ج5، ص8 26، (2593).
(139) ابن الأثير، أُسد الغابة، ج5، ص344.
(140) أحمد عبد الحليم، (ت 728هـ)، مجموع الفتاوى، ط1، جمع عبد الرحمن الخليلي، ج4، ص393.
(141) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص107- 108، وانظر: ص84، 85، 245، 248.

(142) الإصحاحات: مفردها إصحاح، وهو فصل من الكتاب المقدس. انظر: الجُر، المعجم العربي الحديث، ط د، 1973م، ص106.
(143) الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان...، ص42، (131).
(144) برأ النسمة: خلقها، وقيل هي الإنسان، وقيل: هي النفس. انظر: النووي، المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج ط1، ص175.
(145) انظر مثلاً: الفخر الرازي، محمد بن عمر، (ت604هـ)، مفاتيح الغيب، ط3، دار الفكر، بيروت، 1405هـ، ج15، ص25. والبيضاوي، عبد الله بن عمر، (ت691هـ)، أنوار التنزيل، ط1، ج3، ص37. وأبو حيان، البحر المحيط، ط د، ج5، ص197. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ط د، دار سحنون، تونس، ج9، ص133، وغيرهم.
(146) شايب، هل كان محمد أميا؟ ط1، 1423هـ- 2003م، ص200.
(147) عبد العظيم إبراهيم، افتراءات المستشرقين، عرض ونقد، ط1، ص192.
(148) القطان، مباحث في علوم القرآن، ط1، ص38، بتصرف يسير.
(149) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص306- 307.
(150) عبد الرحمن بن خلدون، (ت808هـ)، المقدمة، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ- 1978م، ص105.
(151) البوطي، فقه السيرة، ط8، 1400هـ- 1980م، ص85- 89 بتصرف.
(152) د.غازي عناية، شبهات حول القرآن وتفنيدها، ط1، مكتبة الفؤاد، بيروت، ص35- 36، بتصرف.
(153) د. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ط4، دار القلم، الكويت، 1397هـ- 1977م، ص67 بتصرف.
(154) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص304، وانظر: ص2، 42، 85، 243، 245.
(155) المصدر السابق، ص18، وانظر: ص85، 107، 108، 242.
(156) مونتيه: إدوارد مونتيه، مستشرق ألماني، ولد بليون، ودرس فيها سنة 1874م، حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت من جامعة باريس سنة 1883م، درس العربية والإسلام، من مؤلفاته: حاضر الإسلام ومستقبله، مبادئ النحو العربي. انظر: العقيقي، المستشرقون، ج1، ص65- 66.
(157) فرج، الاستشراق، ط1، ص135.
(158) السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ط1، 1988م، ص97.
(159) خالد الفتياني، محاضرات في علوم القرآن، ط1، دار الإبداع للنشر والتوزيع، 1992م، ص37 بتصرف.
(160) فترة التكوين في الحياة الصادق الأمين، ص304.
(161) الأحلام، ط1، ص125.
(162) أندرسون: مستشرق انجليزي، من آثاره: الشرع والفقه الإسلامي، العالم الإسلامي، حرية العقل في الإسلام، وغيرها: انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، ص465.
(163) خليفة، الاستشراق والقرآن العظيم، ط1، ترجمة مروان شاهين، 1994م، ص41.
(164) تقدمت ترجمته بهامش رقم (74).
(165) د.محمد خليفة، الاستشراق والقرآن العظيم، ص41.
(166) هوبرت جورج ويلز، أديب، مفكر، صحفي، عالم اجتماع إنجليزي، يُعتبر من مؤسسي أدب الخيال العلمي، توفي عام 1946م. انظر د. محمد بسام الزين، محمد رسول الله، ط 1، 1428 هـ، هامش الكتاب ص 267 .
(167) نقرة التهامي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ط1، نشر مكتبة التربية العربي، ج1، ص31.
(168) جولدزيهر: مستشرق مجري، تخرج باللغات السامية من جامعة برلين، قام برحلات إلى البلاد العربية، انتخب عضواً في مجامع علمية عديدة، له الكثير من المؤلفات، منها: الإسلام، الحديث في الإسلام، وغيرها، توفي سنة 1921م. انظر نجيب العقيقي، المستشرقون، ج3، ص906- 908.
(169) العقيدة والشريعة، ط2، ص19- 71، 77.
(170) الجندي، المستشرقون والقرآن الكريم، ط1، ص208 بتصرف.
(171) د.محمد خليفة، الاستشراق والقرآن الكريم، ص41 بتصرف.
(172) محمود الألوسي، (ت1270هـ)، روح المعاني، ج17، ص15- 16.
(173) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص334، وانظر: ص338، 210، 277.
(174) المصدر السابق، ص304.
(175) بكزيميرسكي: مستشرق ألماني، تلقى العلم في فرسوفيا، وتخرج من جامعات برلين، رحل إلى المشرق، سنة 1839م. ومن آثاره: ترجمة القرآن. انظر: العقيقي، المستشرقون، ج2، ص824.
(176) عبد المتقال محمد، السيرة النبوية وأوهام المستشرقون، ص79.
(177) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ص 339.
(178) السيرة النبوية، ج1، ص278.
(179) النمط: ضروب الثياب المصبَّغة. انظر: الأزهري، معجم تهذيب اللغة، ج4، ص3668.
(180) الدِّيباج: ثوب موشى بالحرير. انظر: القاموس العربي الوسيط، ط1، ص314.
(181) انظر: العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ط1، ص285.
(182) ابن الصلاح، علوم الحديث، ط1، ص 130 .
(183) البخاري، الجامع الصحيح، بشرح ابن حجر، كتاب بدء الوحي، باب بلا ترجمة، ج1 ص 29، (3).
(184) الرّويا الصالحة: هي التي ليس فيها ضغث. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص30.
(185) السهيلي، الروض الأنف، ط د، ج1، ص269.
(186) إسماعيل بن كثير، (ت774هـ)، البداية والنهاية، ج3، ص13.
(187) موسى بن عقبة، المغازي، ص62- 63.

المصادر والمراجع

ابن اسحاق، محمد بن اسحاق، (ت151هـ)، السيرة النبوية، ط1، تحقيق أحمد فريد المزيدي، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الأثير الجزري، علي بن محمد، 1418هـ، (ت630هـ)، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، عناية خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت.

ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، 1423هـ، (ت643هـ)، علوم الحديث، ط 1، تحقيق د . عبد اللطيف الهميم، بيروت.

ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، 1481هـ، (ت728هـ)، مجموع الفتاوى، ط1، جمع عبد الرحمن الحنبلي.

ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، 1422هـ- 2001م، (ت310هـ)، تاريخ الأُمم والملوك، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حجر، علي بن أحمد، (ت852هـ).

ابن حزم، علي بن أحمد، (ت456هـ)، جمهرة أنساب العرب، ط5.

ابن حنبل، أحمد بن حنبل، 1421هـ، (ت241هـ)، المسند، ط1، تحقيق شعيب الأرنؤوط ورفاقه، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، 1398هـ- 1978م، (ت808هـ)، المقدمة، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، 1407هـ- 1987م، (ت795هـ)، شرح علل الترمذي، ط1، تحقيق د. همام سعيد، مكتبة المنار.

ابن سعد، محمد بن سعد، (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، ط د، دار صادر، بيروت.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير، ط د، دار سحنون، تونس.

ابن عدي، عبد الله بن عدي، 1409هـ- 1988م، (ت365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، ط3، تحقيق يحيى مختار، دارالفكر، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل بن كثير، (ت774هـ).

ابن معين، يحيى بن معين، (ت233هـ)، التاريخ، ط1، تحقيق د. أحمد محمد نور سيف، 1399هـ- 1979م، نشر مركز البحث وإحياء التراث، مكة.

ابن هشام، محمد بن عبدالملك، (ت213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، 1418هـ- 1998م، مكتبة العبيكان.

أبو حيان، محمد بن يوسف، 1412هـ، (ت754هـ)، البحر المحيط، ط د، عناية زهير جعيد، دار الفكر، بيروت.

أبو دية، أيوب أبو دية، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط1، نشر وزارة الثقافة الأردنية.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، 1369هـ- 1950م، (ت 430هـ)، دلائل النبوة، ط2، طبع دائرة المعارف العثمانية.

أبو يعلى، أحمد بن علي، 1408هـ- 1988، (ت307هـ)، المسند، ط1، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق.

أبوحاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم، 1422هـ- 2002م، (ت327هـ)، الجرح والتعديل، ط1، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

الألباني، محمد ناصر الدين، (ت 1420هـ).

الألوسي، محمود الألوسي، 1420هـ، (ت1270هـ)، روح المعاني، عناية محمد أحمد وعمر عبد السلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

-أنساب الأشراف، 1417هـ- 1996م، ط1، تحقيق د. سهيل زكار و د. رياض زركلي، دار الفكر، بيروت.

البخاري، محمد بن إسماعيل، 1421هـ- 2000م، (ت256هـ)، الجامع الصحيح بشرح ابن حجر، ط3، عناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام، دمشق.

البداية والنهاية، ط1، عناية محمد بيومي ورفاقه، المنصورة، مصر.

البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت279هـ).

بن نبي، مالك بن نبي، الظاهرة الاستشراقية، ط 1، ترجمة عبد الصبور شاهين، 1985م، دمشق.

البوطي، محمد سعيد رمضان البوطي، 1400هـ- 1980م، فقه السيرة، ط8، دار الفكر.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، 1418هـ، (ت691هـ)، أنوار التنزيل، ط1، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت458هـ)، دلائل النبوة، ط1، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار النصر للطباعة، القاهرة، 1389هـ. وبتحقيق د . عبد المعطي قلعجي، 1405هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الترمذي، محمد بن عيسى، (ت279هـ)، الجامع، ط2، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

تقريب التهذيب، ط2، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، 1395هـ- 1975م، دار المعرفة، بيروت.

التهامي، نقرة التهامي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ط1، نشر مكتبة التربية العربي.

جامع المسانيد، ط د، عناية د. عبد المعطي قلعجي، 1415هـ، دار الفكر، بيروت.

الجبري، عبد المتعال محمد الجبري، 1988م، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ط1.

الجر، خليل الجر، المعجم العربي الحديث، ط د، 1973م.

الجندي، أنور الجندي، 1985م، المستشرقون والقرآن الكريم، ط1.

جولدزيهر، صموئيل جولدزيهر، العقيدة والشريعة، ط2، دار الكتب الحديثة، مصر.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، 1420هـ، (ت393هـ)، الصحاح، ط1، تحقيق د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحاج، ساسي سالم الحاج، 1991، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط1.

الحلبي، علي بن إبراهيم، 1351هـ- 1932م، (ت1044هـ)، السيرة الحلبية، ط3، المطبعة الأزهرية، مصر.

حوّى، سعيد حوّى، 1405هـ، الأساس في التفسير، ط1، دار السلام، القاهرة.
خليفة، محمد خليفة، 1994م، الاستشراق والقرآن العظيم، ط1، ترجمة مروان شاهين.
دراز، محمد عبد الله دراز، 1379هـ- 1997م، النبأ العظيم، ط د. دار القلم، الكويت.
الذهبي، محمد بن أحمد، (ت748هـ)، ميزان الإعتدال في نقد الرجال، ط د، تحقيق علي وفتحية البجاوي، نشر دار الفكر العربي.
رضا، محمد رشيد رضا، 1408هـ- 1998م، الوحي المحمدي، ط د.
الزمخشري، محمود بن عمر، (ت538هـ)، أساس البلاغة، ط1، عناية د.مزيد نعيم، نشر مكتبة لبنان.
الزين، محمد بسام الزين، محمد رسول الله، ط1، 1428هـ.
سلسلة الأحاديث الضعيفة، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1422هـ.
السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، 1398هـ- 1978م، (ت581هـ)، الروض الأنف، ط د، دار المعرفة، بيروت.
شايب، لخضر شايب.
شكري، موفق أحمد شكري، 1409هـ- 1988م، أهل الفترة ومن في حكمهم، ط1، دار ابن كثير، دمشق.
الشمالي، ياسر الشمالي، 2003م، الواضح في مناهج المحدثين، ط د، دار الحامد، عمان.
الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، 1414هـ، (ت942هـ)، سبل الهدى والرشاد، ط1، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
الصحيح، ط1، تحقيق رائد صبري، 1431هـ- 2010م، دار طويق للنشر، الرياض.
ضعيف سنن الترمذي، ط1، عناية زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، عمان، 1411هـ.
الطبراني، سليمان بن أحمد، (ت360هـ)، المعجم الكبير، ط د، تحقيق حمدي السلفي، مطبعة الأمة، بغداد.
الطهطاوي، محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق، ط د، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية.
الطويل، خالد الطويل، 1364هـ- 1945، الأحلام، ط1، نشر مكتبة الآداب.
عبد العظيم، إبراهيم عبد العظيم، 1413هـ، افتراءات المستشرقين، عرض ونقد، ط1، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
عبد الكريم، خليل عبد الكريم، 2004م، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، ط2، دار محروسة، مصر.
عبدالرحمن، محمود عبدالرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ط د، دار الفضيلة، الرياض.
عبيد، أحمد محمد عبيد، 2000م، معجم أصنام العرب، ط1، الامارات العربية.
عتر، حسن عتر، 1393هـ- 1973م، نبوة محمد في القرآن، ط1، دار النصر، سورية.
عرجون، محمد صادق عرجون، 1415هـ- 1995م، محمد رسول الله، ط د، دار القلم.
العقيقي، نجيب العقيقي، 1965م، المستشرقون، ط3، دار المعارف، مصر.
العلائي، صلاح الدين خليل، (ت761هـ)، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ط 1، عناية حمدي السلفي، نشر وزارة الأوقاف العراقية.
عناية، غازي عناية، شبهات حول القرآن وتفنيدها، ط1، مكتبة الفؤاد، بيروت.
عواد، إبراهيم بركات، الحداثة وموقفها من متن الحديث النبوي "خليل عبد الكريم أنموذجا"، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 38، العدد2، تشرين الثاني 2011م، ذو الحجة 1432هـ.
فتح الباري، ط3، عناية محمد فؤاد عبد الباقي، 1421هـ- 2000م، نشر مكتبة السلام، دمشق.
-فتوح البلدان، ط د، تحقيق عبد الله أنيس، 1377هـ، دار النشر للجامعيين.
الفتياني، خالد الفتياني، 1992، محاضرات في علوم القرآن، ط1، دار الإبداع للنشر والتوزيع.
الفخر الرازي، محمد بن عمر، 1405هـ، (ت604هـ)، مفاتيح الغيب، ط3، دار الفكر، بيروت.
فرج، سيّد أحمد فرج، الاستشراق، ط1، دار طويق للنشر، الرياض.
الفيومي، أحمد بن محمد، 1422هـ، (ت770هـ)، تهذيب اللغة، عناية د.رياض زكي، دار المعرفة، بيروت.
القاموس العربي الشامل، ط1، دار الكتب الجامعية، 1997م.
القاموس العربي الوسيط، ط1، دار الرتب الجامعية، بيروت، 1997م.
القطان، مناع القطان، 1427هـ- 2006م، مباحث في علوم القرآن، نشر مؤسسه الرسالة.
الكنى والأسماء، ط1، تحقيق عبد الرحيم القشقري، 1404هـ- 1984م.
لسان الميزان، ط1، عناية محمد عبد الرحمن المرعشلي، 1416هـ- 1996م، دار إحياء التراث.
مسلم بن الحجاج، (ت 261هـ).
المعجم الوجيز، ط1، إصدار مجمع اللغة العربية، 1406هـ- 1986م.
الموسوعة العربية الميسرة، ط2، دار الجيل، بيروت، 2001م.
موسى بن عقبة، 1994م، (ت141هـ)، المغازي، جمع ودراسة محمد باقشيش.
نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، ط 1، تونس .
النسائي، أحمد بن شعيب، (ت 303هـ)، الضعفاء والمتروكين، ط2، تحقيق بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت، 1407هـ- 1987م، مؤسسة الكتب الثقافية.
النووي يحيى بن شرف، 1423م، (ت676هـ)، المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط1، دار ابن حزم، بيروت.

هادية، علي هادية، 1979م، القاموس الجديد، ط1، الشركة التونسية.
هل كان محمد أمياً؟ ط1، 1423هـ- 2003م.
الهيثمي، علي بن أبي بكر، (ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط1، تحقيق محمد عبد القادر عطا، 1422هـ- 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، 1399هـ، (ت626هـ)، ط د، نشر دار إحياء التراث، بيروت.
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، 1379هـ- 1960، (ت292هـ)، التاريخ، ط د، دار صادر، بيروت.

The Author Khalil Abd al-Karim and his book Fatrat al-Takwin fi Hayat al-Sadiq al-Amin
A Critical Study

*Ibrahim Barakat Awad**

ABSTRACT

This study criticizes the scientific material included in the book Fatrat al-Takwin fi Hayat al-Sadiq al-Amin.

We reached the conclusion that the author has divided the sources of the prophetic knowledge into two kinds: External as Waraqa bin Nawfal, Khadijah, and Internal as his illiteracy, self inspiration, intelligence, imagination, ambition, and the dream he had in the cave of Hira'. By doing this the author rejects the divine nature of revelation and this leads to the rejection of the message.

Keywords: Khalil Abd al-Karim, Fatrat al-Takwin**.**

* Faculty of shari'a, World Islamic Sciences and Education University, Jordan. Received on 17/4/2013 and Accepted for Publication on 13/11/2013.